الحديث عن نزع السلاح:

دور الأسلحة الصغيرة في عمليات السلام

تشكل الأسلحة جزءاً من جميع النزاعات المسلّحة، وهي – بحد ذاتها – مصدر اهتمام رئيس في العديد من عمليّات التحوّل نحو السلام. ويبحث هذا الفصل في الكيفية التي تؤثر فيها الاهتمامات المتعلّقة بالأسلحة الصغيرة على مفاوضات السلام، والمحاولات الأخرى الرامية إلى التوصل إلى الاتفاقيات السياسية. وهو يركّز على كيفية التعامل مع هذه الاهتمامات عقب التوصّل إلى تلك الاتفاقيات. وعلى وجه الخصوص، يبحث الفصل في تنفيذ عمليات نزع الأسلحة خلال العديد من عمليات السلام المتعددة الأبعاد، التي قامت بمعظمها الأمم المتّحدة منذ نهاية الحرب الباردة.

تسترعي قضية نزع الأسلحة الانتباه والاهتمام لأن بعثات السلام اشتملت – منذ أواخر الثمانينيات من القرن العشرين – على عدد تضاعف كثيراً، وطائفة توسع نطاقها بدرجة كبيرة، من المهام التي جاء معظمها في سياق تسوية الحروب الأهلية، علماً بأن الاهتمام الرئيس فيها قد انصبّ على نزع السلاح من أوساط المتقاتلين. ففي معظم النزاعات التي دارت خلال هذه الفترة ذاتها، كانت الأسلحة الصغيرة هي الأكثر شيوعاً من حيث استخدامها، كما كانت محور التركيز الرئيس لجهود نزع السلاح.

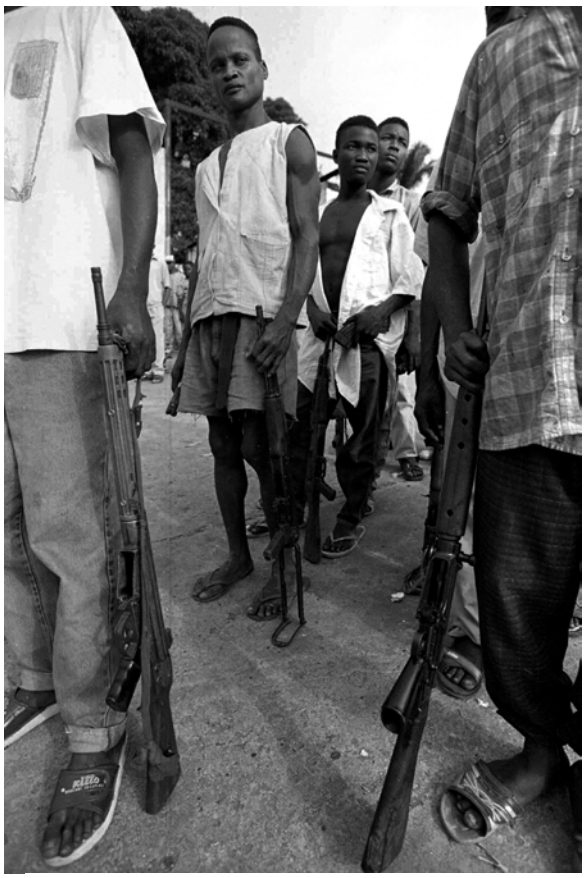

تصوير ديفيد غوتنبلدر/ الأسوشيتد برس

مجموعة من عصابات المقاتلين الليبيريين ينتظرون تسليم أسلحتهم أمام مركز لنزع الأسلحة

وتُعَدُّ المسائل المتعلّقة بالأسلحة ونزعها، بصورة عامة، من ضمن المسائل السياسية الأكثر حساسية وإثارة للنزاع بين مجموعات المتقاتلين. وتشكل الطريقة التي يتم التعامل بها مع هذه المسائل أهمية رئيسة في فض النزاعات.

أما النتائج الرئيسة التي خلُصَ إليها هذا الفصل، فهي:

تستخدم الأسلحة، بصورة عامة ومشتركة، كأدوات مقايضة خلال مفاوضات السلام، وغالباً ما يكون لدى الأطراف المتفاوضة مصلحة مكتسبة في إعطاء معلومات غير دقيقة عن أعداد وأنواع الأسلحة التي تمتلكها من أجل تعزيز مواقفها التفاوضية. وعليه، فإن من الضرورة بمكان تطوير وسائل نظامية وموثوقة لرصد مدى انتشار ملكية الأسلحة والتحقق من الادعاءات التي يتم التصريح بها.

- أصبح موضوعا نزع السلاح والسيطرة على الأسلحة من الموضوعات التي يزداد إدراجها في مهام العمليات السلمية. غير أن أهداف هذه المهام غالباً ما تكون غامضة، وفي أحيان كثيرة تكون الموارد المتاحة شحيحة للغاية مما لا يساعد على تنفيذ تلك المهام بشكل فاعل. وبناء على ذلك، فإن إجراءات اتخاذ القرار لدى المؤسسة المسؤولة عن نزع الأسلحة وضبطها، وقدرة هذه المؤسسة على توفير الدعم لها لا بدّ من أن تؤثّر بشكل كبير في جوانب المشكلة.

- يعتبر توافر الإرادة السياسية والالتزام من جانب الأطراف المعنية، من الشروط الواجب تلبيتها لإنجاح عملية نزع الأسلحة، مع أن تلك الإرادة والالتزام شرطان غير كافيين بحد ذاتهما.

- يتعيّن أن تخضع احتمالات نجاح هذه العملية لتقدير واقعي يتم وضعه قبل عملية نزع السلاح وخلالها، وخاصة فيما يتعلق بالحوافز الممكنة التي قد تدفع بالأطراف المعنيّة إلى عدم الالتزام، ناهيك عن احتمالات الخداع والتضليل من جانب تلك الأطراف.

- يجب ألا تقتصر عملية نزع السلاح على المتقاتلين الذين ما زالوا في صفوف القتال، بل يجب أن تشمل المجموعات المسلّحة الأخرى التي شاركت في القتال، إضافة إلى بعض المدنيين في بعض الأحيان.

- يتعيّن على خطة نزع السلاح، وما يتصل بها من تدخلات تستهدف إقامة وبناء سلام دائم ومستمر أن تستوعب خصائص البيئة المحلية. ويتعيّن عليها – بشكل خاص – أن تتناول مصالح جميع أطراف النزاع، والأسباب التي تدفع المتقاتلين السابقين أو المدنيين الآخرين أو كلتي الفئتين معاً إلى امتلاك الأسلحة واستخدامها في تلك البيئة، إضافة إلى تناول رغبة الأطراف ومصلحتهم في تفضيل الحل السلمي على الحل العنفي.

ومع أن عمليات نزع الأسلحة الناجحة تعتبر اليوم، بشكل عام، من العناصر الرئيسة اللازمة للتحوّل من الحرب إلى السلام، إلا أنه لا يمكن التعامل معها بمعزل عن عملية بناء السلام الأوسع نطاقاً. فمسألة نزع السلاح يجب أن يتم دمجها مع العناصر الأخرى المعروفة في عمليّة بناء السلام بما فيها تسريح المتقاتلين وإعادة دمجهم في المجتمع المدني، وتحقيق العدالة الانتقالية، وإصلاح القطاع الأمني، وإدارة الأسلحة. وإن أهمية هذه الجهود الأخرى لا تقتصر على تحقيق السلام وحسب، بل إن هذه الجهود ترتبط ارتباطاً مباشراً بالنجاح في تدابير الحد من انتشار السلاح والسيطرة عليه وضبطه. وعلى سبيل المثال، فإن إجراء جمع الأسلحة وتدميرها لن يؤدي إلى خفض حجم توافرها على المدى البعيد ما لم يرافق هذا الإجراء تدابير تهدف إلى كبح رغبة الأشخاص في امتلاك الأسلحة ،وكبح قدرتهم على الحصول عليها من خلال الضوابط المفروضة على توريدها.

تصوير بولت مارتن/الأسوشيتد برس

أفراد الشرطة يتأكدون للمرة الثانية من التدمير الكامل للأسلحة التي تم جمعها في الفلبين

إن فهم الأسباب التي تجعل الأشخاص يمتلكون الأسلحة يعتبر أمراً في غاية الأهمية لنجاح عملية نزع الأسلحة على المدى البعيد.

وحيث إن موضوع نزع السلاح وهذه العناصر الأخرى المهمّة يعتمد بعضها على البعض الآخر، ولا تشكل سلسلة من الأحداثَ المنفصلة عن بعضها البعض، فإن من الضرورة بمكان، النظر إليها على أنها عناصر ضرورية في أيٍ من الاستراتيجيات الشاملة والمتكاملة لبناء السلام.

وتبقى الجهود الرامية إلى نزع الأسلحة الصغيرة ذات قيمة محدودة إذا لم توضع الظروف السياسية المواتية لحل النزاع موضع التنفيذ. ففي سياق النزاعات المسلّحة، تعتبر العوامل السياسية هي

المحدِّد الرئيس لنجاح عملية السيطرة على الأسلحة وضبطها وجمعها. وما دامت الحوافز باقية لدى بعض الجهات للاستمرارٍ في النزاع، وما دامت الإرادة السياسية المبذولة لإنهائها محدودة النطاق، فإن نجاح عملية نزع الأسلحة يظل أمراً غير مرجّح مهما بلغت درجة التخطيط الجيد والتنفيذ السليم لها.